«الشمس الجريئة».. هكذا يعيش «الجوزائيون»

(١)

في طفولتي لم ألتقط فرقًا واضحًا بين منى عبد الغني وحنان، ربما السبب هو الظهور المشترك في فرقة «الأصدقاء» التي أسسها عمار الشريعي، أغنيتان فقط رسما لي حدًا فاصلًا بين المطربتين، الأولى هي «الشمس الجريئة» لـ«حنان»، والثانية «يلا يا أصحاب» لمنى عبد الغني، ولكن الحدّ المرسوم تلاشى شيئًا فشيئًا، عندما أعدت سماعهما بعد عشرين عامًا تقريبًا.

«حنان» صوت أكثر شجنًا من «منى»، بينما الثانية تملك صوتًا أكثر خجلًا، هذا الخجل الذي جعلها تنسحب من الساحة في عز الشهرة، بعد التمثيل على خشبة المسرح مع «هنيدي» و«السقا» و«علاء» مثلًا، وتعود للظهور مجددًا بالحجاب، بينما كانت «حنان» أكثر جرأة عندما غادرت كل شيء بمجرد أن شعرت بالملل، فقط كان «الزهق» مبررًا منطقيًا لمطربة أكثر حضورًا بين جيلها؛ لتستأذن في الانصراف!

في النصف الثاني من الثمانينيات وحتى مطلع التسعينيات كانت «حنان» المطربة المصرية الأكثر حضورًا، وطلبًا في الحفلات بمختلف العواصم العربية، ضغطة زر في موقع

«يوتيوب» كفيلة بأن تعيد لك أرشيفًا طويلًا من النجاحات المصورة الموثقة.

في لقاء لها مع التليفزيون الأردني عام ١٩٨٩ قالت بجرأة تحسد عليها: «لم يعد الصوت هو معيار النجاح الآن، ممكن صوتك ميعديش التلات نوت –دلالة على ضعف القدرة– ولكنه مؤثر، إحنا في عصر تنجح فيه الأغنية قبل المطرب، ولازم نتقبل ده».

الغريب أن «حنان» لم تكن هذا الصوت الضعيف الذي يبرر نجاحه، ولكنها كانت على علم بمنطق المرحلة، وإعادة صياغة الذوق العام، الذي امتدّ بهذا الشكل حتى الآن، ولكن هل طبّقت هي نفس النظرية؟!

قبل هذا الحديث بسنوات طويلة كانت الصدفة وحدها سببًا في لقاء «حنان» بالموسيقار عمار الشريعي، الذي بدأ وقتها في الإعلان عن اختبار أصوات جديدة من معهد الموسيقى العربية؛ لعمل فني مهم، انتشر الخبر، وتقدّم أغلب طلاب المعهد إلا «حنان» التي كانت ترى أن صوتها أضعف من الوقوف أمام «عمار»، ولكن أستاذة في المعهد رشّحتها لـ«عمار»، وذهبت بلا أي طموح، وخرجت وهي الاختيار الأول والأهم في قائمة المرشحين للانضمام لفرقة «الأصدقاء»، بداية تنبئ بشكل مشوار مطربة زهدت في كل نجاح حققته حتى أغنيتها الأشهر «الشمس الجريئة» غنّتها رغمًا عنها؟!

يحكي الملحن خليل مصطفى، والذي كان متزوجًا من «حنان» في تلك الفترة: الأغنية في هذه المرحلة اتجهت للبهجة في الكلمة واللحن، الانطلاق مع جيل جديد من الشباب

الجامعي الذي يبحث عن الخلاص من ضغوط ورتابة المجتمع، وكوّنت مع رضا أمين دويتو يقدم أغنيات تلمس هذه الحالة، أشهرها «السهرة تحلى» مثلًا لمدحت صالح، رشحت «الشمس الجريئة» لحنان ورفضتها، فقلت لها ستغنيها وعلى ضمانتي، وغنّتها وبعد صدور الألبوم بأسابيع كانت الأغنية نشيدًا وطنيًا في كل مصايف مصر.

(٢)

في برنامج منوعات قدّمه سمير غانم لتلفزيون الكويت عام ١٩٨٨ استضاف «حنان»، كان لـ«سمير» في هذه التجربة التي لم يعرفها الجمهور المصري بصمة خاصة كمذيع للبرامج الحوارية الفنية، حضور مختلف وأداء لطيف لم يُشبع بكوميديا حراقة على عادته، ولكنه في هذا الحوار التقط خيطًا مهمًا لنجاح «الشمس الجريئة» عندما قال لها: أنا كمستمع أرى أن الأغنية ذكرت في مطلعها أكثر شيء مبهج في الحياة وهو الشمس، شخصيًا لا أجد أن هناك شيئًا خلقه الله قادر على نشر البهجة مثل الشمس!».

انطلقت «حنان» من نفس النقطة لتقدم فيما بعد أغنية «البسمة»، والتي عرفوها في لبنان والخليج باسم «الدنيا الخوافة»، وبدأت مرحلة فنية جديدة مع حميد الشاعري، وهو نفس الوقت الذي تزوجت فيه كمال علبة صاحب شركة «سونار»، قدّمت خلالها أغنيات ناجحة مثل أغنية «اضحك»، والتي ظهر في كليبها لأول مرة علاء ولي الدين، ومجموعة من كوميديانات المرحلة، كان أول كليب كوميدي تقريبًا، ثم شاركت في ألبومات «لقاء النجوم» المجمعة ولعل

أبرز مشاركاتها فيها كانت بأغنية «يا حلو يا غالي» التي لحّنها مصطفى قمر، وأيضًا أغنية «تستاهل»، ولكن ظهر على الساحة منافسات أكثر حضورًا وطزاجة مثل «سيمون» التي لم تستمر تجربتها طويلًا، ولكن «حنان» لم تمسك بمساحتها الراسخة بين الجماهير، مشروعات زواج، ثم انفصال، تبعها كسل فني ملحوظ، وزهد في النجاح والاستمرار أنهى الرحلة الناجحة في عشر سنوات فقط، وكأنه تنفيذ دقيق لتعليمات كتالوج حياة مواليد برج الجوزاء، فسّرته عندما قالت في لقاء مع إسعاد يونس: «أؤمن بأنني أفعل ما أحبه فقط وما أريده، ولا أسمع لما يقولونه لي، أنا جوزائية، وبداخلي أكثر من شخصية، ولكنني طوال الوقت كنت أشعر بالوحدة، لذلك عندما أردت الرحيل رحلت».

في أواخر التسعينيات ابتعدت «حنان» عن الساحة، معلنة الاعتزال وارتداء الحجاب، وهو القرار الذي تزامن مع زواجها من طبيب عظام مقيم في ألمانيا، هاجرت معه إلى هناك، واستقرت لأكثر من ١٢ عامًا، درست فيهم اللغة الألمانية والدراسات الإسلامية، وأخيرًا عادت للغناء بأغنية دينية كعربون تعارف مع جمهور نسيها منذ زمن.

حياة صاخبة لامرأة من برج الجوزاء، مطبات وتقلبات وصعود مبهر، ثم هبوط مخيف، «حنان» واحدة من هؤلاء المتمردين على أنفسهم الباحثين عن الرضا والكمال داخل أرواحهم، يتوهون طويلًا كي يجدوه، وفي الغالب لا يصلون لنتيجة مرضية، نظن نحن كذلك بينما ينظرون لأنفسهم بفخر الزاهد في الحياة.

لماذا أكتب عن «حنان»؟

لا أعرف، ولكن درجة الحرارة في نهار صيفي يجعلك تتوقف طويلًا أمام صدق مقولة سمير غانم، هل «الشمس الجريئة» جدًا أكثر شيء باعث على البهجة في هذه الحياة؟

أنظر عبر زجاج السيارة المكيفة لوجوه المارة في الشارع فأقول في سري: «قلشت منك دي يا أبو سمرة»!

«الشمس الجريئة»
غناء: حنان
ألحان: خليل مصطفى
كلمات: رضا أمين
توزيع: يحيى خليل
إنتاج: سونار

obeikan.com